المنقار الأحمر عرض ودراسة

اعداد الدكتور / عمر عبد المعبود عبد الرحمن
المدرس بقسم الأدب والنقد بالكلية

المؤلف :

هو شكر الله الجر • أحد شعراء المهاجر الجنوبية المشهورين • ولد فى قرية « فتوح كروان » بلبنان • وتلقى دراسته الابتدائية فى قرية جبيل اللبنانية ، وكثيرا ما كان يتردد على وادى يحشوشى حيث صديقه وقريبه داود بركات ، ليسامره وينادمه كأس المعرفة والأدب والشعر •

وفى عام ١٩١١ م التحق بمدرسة الحكمة فى بيروت ، وهاجر عام ١٩١٩ الى البرازيل — وكان أخوه « عقل » قد سبقه اليها — وعمل فى التجارة ، ثم هوى الصحافة فأنشأ مجلة الأندلس الجديدة عام ١٩٣٠ م ، ثم الزنابق وأغلقت صحيفته خلال الحرب العالمية الثانية •

ومن آثاره : ديوان شعر بعنوان « الروافد » • وآخر صدر عام ١٩٤٥ م بعنوان « الزنابق » وله كتاب « نبى أورفليس » ، والمنقار الأحمر •

وشكر الله الجر أحد أعضاء العصبة الأندلسية التى قامت فى المهاجر الأمريكى الجنوبى عام ١٩٣٢ م فى البرازيل بمدينة سان باولو ، وكانت هذه المدينة هى التى شهدت آثار عبقريته وشاعريته بل

كان هو صاحب الفكر الأولى فى قيام العصبة الأندلسية ، وأول المشاركين فى تحرير مجلتها (١) .

وشكر الله الجر ينتمى الى طائفة أدباء المهاجر الجنوبى الذين كانوا أكثر محافظة على الديباجة العربية البليغة ، وأكثر اعتناء بقواعد اللغة والعروض والبلاغة من زملائهم فى الشمال الذين كانوا أبرز أثرا ، وأوسع آفاقا،وأعمق احساسا بانسانية الأدب والشعر وصلتهما بالحياة الانسانية ، لذا جاء أدبهم فى معظمه متحررا من كل تأثير قديم . وهذا التحرر هو الذى طبع أدبهم بطابع متميز عن أدب الجنوب (٢) .

يقول صيدح عن شكر الله الجر « هو فى الأدب من دعاة التجديد مع التمسك التام بسلامة اللغة وفصاحة الأسلوب ، يتميز شعره بموسيقى الألفاظ ونثره بحرارة التعابير . تشع فى مؤلفاته الفكرة النيرة والثقافة الواسعة والثقة بالنفس .. » (٣) .

موضوع الكتاب :

الكتاب يحتوى على مقالات نقدية فى الأدب والفن ظهرت تباعا فى مجلة الأندلس بقلم صاحبها ، وهو يشتمل على مائة وتسع وخمسين صفحة من الحجم الصغير .

---

(١) راجع ترجمته فى أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية لجورج صيدح ص ٢٢٦ وما بعدها . وقصة الأدب الهجرى د/ خفاجى ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٢) راجع : أدب المهجر عيسى الناعورى ص ١٧ ، ١٨ ط ٣ سنة ١٩٧٧ دار المعارف .

(٣) أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية ص ٢٦٧ .

أهميتـــه :

الواقع أن معظم الدارسين والباحثين قد خصوا النظرية النقدية عند أدباء الشمال ــ خاصة أدباء الرابطة القلمية ــ بدراســـات عدة ، حيث يوجد كتاب « الغربال » لميخائيل نعيمة ، ذلك الكتاب الذى حوى المقاييس النقدية التى دعت اليها الرابطة القلمية .

ولم أعثر فيما بين يدى من دراسات للبـــاحثين على من تعرض الجانب النقدى لدى أدباء الجنوب أو أشار اليه ربما لعدم عثورهم على أثر فى هذا المجال ، أو لأن مدرسة الرابطة القلمية كانت ذات بريق آخذ بأبحاث الدارسين فانصرفوا اليها ، ومن ثم تركزت دراسات الباحثين حول الموضوعات الأدبية العامة فيما يتصل بأدباء الجنوب الأمريكى .

وما أن وقع فى يدى كتاب « المنقار الأحمر » لشكر الله الجر حتى وجدت عملا نقديا ناضجا له قيمته ، ويستحق الاهتمام والدراسة مما دفعنى الى ادمان النظر ومعاودة القراءة محاولا اكتشـــاف ما فيه من قيمة نقدية تحسب لصاحب الكتاب ، الأمر الذى دفعنى الى محـــاولة اظهار مالأدباء الجنوب فى المهاجر من جهود فى ميدان النقد الأدبى .

وقد رصدت ما للكتاب من نظرات نقـــدية متناثرة فى الكتـــاب ، وصنفتها الى قضايا نقدية ووجدت أنها تتركز فى معظمها حول مفهوم القد والناقد ، والشعر والشاعر ، الأسلوب الأدبى ، الى جانب رايه فى شعر المتنبى ونقده له ، وقـــد تبين أيضا وقوع الكـــاتب فى بعض التناقضات مما دفعنى الى جمعها فى مبحث خاص كما سيتضح فيما بعد .

والكاتب زين غلاف مؤلفه بصورة لطائر له منقار معقوف ، مما يدل على أنه من الطيور الجارحة آكلة اللحوم ، ومما يومىء الى أننا سنشاهد

صراعا قاسيا ، بل عدوانا شرسا تسفك فيه الدماء ، لأن المنقار أحمر ، ذلك أمر يدعونا الى الحذر ونحن نجوس خلال الكتاب ، فالمؤلف يتحرش بالموضوعات التى سيعرضها للنقد ، فلعل العنف هو المسيطر على النقد وهو أيضا الذى أوحى اليه بعنوان كهذا ، وأنا لا أقول هذا الكلام من الوهلة الأولى التى طالعنى فيها الكتاب بصورته الموحية ، ولكن قلت ذلك بعد قراءة الكتاب فوجدت انسجاما بين محتوى الكتاب والرمز المرسوم على غلافه مع العنوان •

أولا : النقد والناقد :

تحت عنوان « ديباجة » تحدث شكر الله الجر عن النقد الأدبى فقال : « ليس هناك نقد عنيف أو نقد لطيف ، بل هناك اما نقد مصيب أو نقد مخطىء ، الأدب قوام الشعوب والأمم ، والنقد قوام الأدب والفن » (٤) •

ومن هذه الديباجة نفهم أنه يستخدم النقد بمعنى اظهار المثالب ، فهذا وحده الذى يكون عنيفا أو لطيفا ، والمستقر عنده أن يكون اما مصيبا أو مخطئا ولا يكون كذلك الا اذا كان معناه اظهار المثالب أيضا • أما النقد فى حقيقته فهو دائما على صواب ان كان صاحبه يستخدم القواعد والأصول ونزه نفسه عن الغرض والهوى ووقف من النص المفقود موقفا محايدا ، وبذا يكون معدا لكشف عورات النص بالقدر الذى يشيد فيه بالمحاسن •

فالذى قاله المؤلف هنا عن النقد عن الانصاف بعيد عن الانصاف بعيد عن معنى النقد •

---

(٤) المنقار الأحمر ص / أ •

والنقد عند شكر الله الجر لا يصح أن يدعيه كل أحد لأن « الناقد الموهوب يولد ناقدا والشاعر الموهوب يولد شاعرا،والناقد الموهوبهو من تحسس النقص قبل جميع الناس فى أدب المنقود ، واشتم رائحة الضعف من مجرد اللمح والاحساس الفورى الذى هو سليقة فيه» (٥)•

فالنقد عنده موهبة يتركز فقط حول تحسس النقص واشتمام رائحة الضعف فى أدب المنقود ، ومن ثم يكون النقد عنده اظهار المسالب فقط •

والموهبة عنده تعمل عند مجرد اللمح والاحساس الفورى ، وبالتالى فالنقد عنده تأثرى قائم على الانطباع الذاتى •

وهذا أمر لانقره على اطلاقه ، فنحن نقره على أنه موهبة ، ولكنها لا تعمل وحدها وانما بمساندة الثقافة والاحتكام الى القواعد •

ويحبذ شكر الله الجر « اجتماع ملكة النقد الى ملكة الشعر والنثر فى نفس الأديب يهيئم عليها كلها الذوق الفنى الخالص فيكون لدينا الناقد الذى تشهده ، والا فعبثا يحاول نقدا للشعر من لم تكن له قدم قارعة فى فنه أو نقدا للنثر من لم يكن هو حجة فيه •

وقد تقع على نقاد أكفاء أحسنوا نقد الشعر وهم ليسوا بشعراء ولكنهم قليلون • كما انك تجد بين الشعراء من يحسن نقد النثر ولكن ليس بروح الناثر الخبير بأسراره » م(٦) فهو فى هذه الفقرة يشترط أن يكون الناقد عنده شاعرا مبدعا على وعى بصياغة الشعر وفنونه ، وغيرهم قليل • ونحن ان رأينا ذلك ضروريا لكنا لا نكتفى به ، بل يجب أن يوسع دائرة معارفه لتشمل العلوم والفنون جميعا اذا أمكن •

---

(٥) المنقار الأحمر ص / ب •

(٦) المنقار الأحمر ص / ج ، د •

ويرى شكر الله الجر أن « للنقد قواعد ومقاييس وضعية عملية قلما عنى بها المهمون من النقدة ممن يطلقون الكلام على السجية فيبدعون ، ولكنها على أى متجه شئته من الأدب هى قواعد ومقاييس جرية بالحفول بها والتلفت اليها » (٧) .

ونحن نرى أن الناقد الموهوب لا يعنى بقواعد النقد ولا يهتم بها، وهو لا يحطمها جميعا أو يتجاهلها الا لكى يضع أسسا وقواعد تنشىء نظرية جديدة فى النقد .

ون أبرز هذه الواعد وأصحها عنده « أن تقبض على ناصية الموضوع الذى تحاول نقده ، وتتحرى البواعث الحافزة الى وضعه فمنها أدبية ومنها اجتماعية أو غيرها ، فتماشى فروعه الى حيث تمتد وتتشعب ماسكا بأهدافه من شتى جوانبها حتى اذا تم لك ما أردته وانبسطت أمامك أوجه الخطأ والصواب وثبت وثبتك على روية وهدى وكانت كلمتك هى الكلمة الفصل » (٨) .

يرى شكر الله الجر أن « من المؤلفات ما يتفق مع ميولك فيسترهف حسك وتفتح له غرائز الناقد فى نفسك فتتبلغ على حسابه حد الاعجاز فى النقد . ولهذا الفن الجميل مداخل ومخارج لدى كبار النقدة تفتتن بما فيها من جواذب فنية وطرائف بيانية وجدة وعمق وتسلسل تتمنى معها لو لم يعن أصحابها بغير هذه الناحية من نواحى الأدب » (٩) .

فهو يجعل أساس الابداع فى النقد هو الميل والحب للأثر المنقود،

---

(٧) المنقار الأحمر ص / د .

(٨) المنقار الأحمر ص / د .

(٩) المنقار الأحمر ص / هـ ، و .

وذلك ليس من النقد المنصف ، فلا يصح أن تتحكم أهواؤه وعواطفه فى النص المنقود لا حبا ولا كرها والنقد الحديث يطالب الناقد بأن يتجرد عن أى غرض شخصى من شأنه أن يؤدى الى التحامل عند تقويم النص الأدبى ، حتى يتسنى له الحكم على ذلك العمل دون مجاملة أو تحامل •

ويرى شكر الله الجر أن النقد أقطاب جبابرة هم كالجبال الضاربة فى الفضاء تشرف على ما حولها من هضاب صغيرة لفورها ما فيها من صخور وأخاديد وما يجللها من شجر وما ينساب بين لفيفها من جداول وحيوانات وهذا لن يكون للقمم الحقيرة تجاه ما حولها من هذه الأطواد الشامخة • واذلك فهو يشمئز كما وقع على «صعلوك من صعاليك القلم ينتحل لنفسه صفة الناقد الفحل فيتحرش بأدباءهم كالقنن المرفوعة فى سماء الخلود أو كالمنائر الوهاجة على شواطئه • ولكنها الفوضى الكلامية •• ولا أقول الأدبية •• فالأدب الحقيقى برىء من هذه الفوضى، وأنه لينكمش خجلا من هذم الوقاحة والعربدة والتهالك على الشهرة •

بل هى الفوضى التى أفسحت لهؤلاء الخصيان من غلمان الأدب مجال الانسراب الى ميادين الجياد الأصائل وأباحت لهم التصويت فى غوغائها فحسبوا النهيق صهيلا ، والنعيب تغريدا ، والرفرفة تصعيدا وتحليقا •

أجل انها الفوضى الكلامية التى شجعت هؤلاء المجرمين على ممارسة لرتكاباتهم فتراهم لدى أتفه المناسبات وأدناها يرفعون رؤوسهم بوقاحة الجلادين ويعسون فى وجوه جبابرة الفن ونوابغ الأدب » (١٠) •

---

(١٠) الشقار الأحمر ص / ز ٠٠

ونحن نرى أن هذا الكلام لا يصح اطلاقه فهو سب وهو أيضا مصادرة لأفكار الآخرين دون مناقشة موضوعية ، أكتفى فقط بتقسيم النقاد الى شوامخ وأقزام ، وكأن القزم لن يتمكن من الشموخ اذا جود أداته النقدية .

ثم ينهى حديثه قائلا : « فعلى الأدب أن ينظف نفسه من هؤلاء ليتسنى له توحيد أهدافه ، وعلى النقد أن يعينه عليهم » (١١) .

وهذا كلام خطابى خلا عن الدقة العلمية والحوار الموضوعى .

رسالة الأدب والنقد :

يرى شكرى الله الجر أن للأدب أهمية عظمى فى تطور الأمم والاتجاه بروحها الثقافى الى ما يوطد دعائهم السلم ويقضى القضاء الجازم على الحرب ، واذا أدركنا ذلك جيدا أدركنا حينئذ أهمية النقد من الأدب .

فالنقد الصحيح يخلق الأدب الصحيح متى توجدت أهدافه خلق من حوله أمة صحيحة الثقافة ناضجة التفكير نبيلة المقاصد (١٢) .

ولهذا فهو يضع مسئولية المجتمع على الأدب ، ويضع مسئوليه الأدب على النقد ، فالنقد وهو أسمى مراتب الأدب وجد بوجوده وولد من أجله وعليه يترتب توجيهه وتوحيد أهدافه الروحية والعلمية والانطلاق به من كهوف عزلته الى ميادين النضال الانسانى ليضطلع بمهمته من جديد ، ويستأنف الرسالة التى ندبته السماء لتحقيقها ، فهو بشير الحرية ورسول الله الى الانسانية .

---

(١١) المنقار الأحمر ص / ح .
(١٢) المنقار الأحمر ص / ح .

وطالما كانت أقلام الأدباء الأحرار ترعب الملوك فى قصورها ، وتحمل على حصون الظلم والاستبداد فتدكها وتسحقها ، اذن فلا حياة لأمة بدون الأدب ولا حياة للأدب بدون النقد ، وكما أن الأدب قوام الشعوب ومسدد خطواتها الى الكمال الروحى نرى أن النقد قوام الأدب ومسدد خطاه الى الكمال الفنى(١٣) .

ويرى شكر الله الجر « أنه حيث توجد مؤلفات فهناك أهداف ومرام، والأهداف والمرامى فى المؤلفات هى كالعمد والدعائم من البيوت ، فاذا كانت هذه الدعائم والعمد متينة محكمة الوضع فلا يضيرك التغنى بها والتنويه بحسن أحكامها .

واذا كانت سخيفة واهنة فسرعان ما تنهار بين يديك انهيار السقوف والجدران من حولها لدى أول ضربة معول فيها » (١٤) .

فالأهداف عنده هى العمد ونحن نراها هى رسالة المبدع التى يريد تبليغها الى المتلقين ، وليس لنا أن نحكم عليها ، وانما الذى نوده ابرازا ما اذا كان المبدع قد بلغ هدفه ونجح فى استخدام الوسائل الفنية المتاحة بدقة واتقان أم لا ؟

ومن كلامه « هناك بيوت بلا أعمدة ، ومؤلفات بلا أهدافه ، فلا تشغل بها نفسك بل دعها الى الأيام فتهدمها ، والى الرياح فتذريها ، وثق أنه ما من أديب يفهم معنى الأدب والغاية من التأليف ولا تكون له أغراضه فى ما ألف وما أنشأ » (١٥) .

---

(١٣) المنقار الأحمر ص / ص ، ق .
(١٤) المنقار الأحمر ص / د ، هـ .
(١٥) المنقار الأحمر ص / هـ .

والواقع أنه لا يوجد فن بلا هدف والا أصبح لغـوا يبرأ الأديب منه.وفى نقده لشفيق معلوف يذكر أنه لا يرى فى«عبقر» هدفا ولاغاية ولا ايمانا بعقيدة ، وعلى ذلك فهو شعر خلا من المضمون القيم المفيـد « وكنا نود أن يكون للصديق الشاعر رسالة يؤديها فى عبقر ، أو فكرة أصيلة نتمشى فى مقاطعه المتفرقة ونتلاقى عنـد غرض كبير أو عقيـدة متمردة يريد بثها فى نفوس الناس فيكون منها محور أساسى شامل تدور عليه القصيدة » (١٦) .

فالأدب لابد له من رسالة يؤديها الى المجتمع وأن يكون له دور فى الحيـاة .

ثانيا : الشعر والشاعر :

يدور مفهوم الشعر عند الكاتب على أنه تعبير عن وجدان الشاعر وعواطفـه وأحاسيسه تعبيرا صـادقا ، اذ يقول فى تقريظـة لديوان « أرجوحة القمر » لصلاح لبكي : « الشعر هو صدى النفس وعصير القلب مسكوبا من ألفاظه فى قوارير من الطيب ، وأجمل الشـعر هو ما أعطاك صورة صادقة عن روح صاحبه ، وأجمـل البلور واصـفاه ما عكس انا من أنوار الخمور حقيقة ألوانها » (١٧) .

وهذه دعوة الصدق الفنى فى الشـعر ، فالمعول فى الابتكار يقع على الصدق فى الشـعر ، ومدلول الصدق يتمثل فى تعبير الشـاعر عن عاطفته بغذاء من حرارتها لا بوقود من خارجها والشعر عنده انعكاس لحالات النفس المتغيرة عند الشـاعر على النـاس ليشـاركوه رؤاه « والأحرى بالشاعر أن يتطلع الى الناحية التى تعكسها نفسه على

---

(١٦) المنقار الأحمر ص / ٩٤ .

(١٧) المنقار الأحمر ص / ٨٣ ، ٨٤ .

الناس ، وهذه هى ميزة الشاعر على سواه فعليه أبدا أن ينظر بعين نفسه الصافية فانه ولا مشاحة واقع منهم على ناحية نيرة حتى فى أشد النفوس احلكاكا » (١٨) •

علاقة الفكر بالشعر :

يرى شكر الله الجر أن الشعر لم يعد طبعا فياضا وحسب ، أو ألفاظا فقط كما كان فى الأمس ، فيقول « نحن لا ننكر ما فى الألفاظ الجميلة المختارة للمعنى من جمال الموسيقى ، ولا ننكر ما فى الخيال العالى البعيد من روعة وجلال ولكن الخيال واللفظ دون الفكرة النيرة والعاطفة المشبوبة قشور بلالب • ومن من شعراء اليوم يرضى لنفسه أن يعيش حياته كلها فى بيوت من القشر » (١٩) •

فأدوات الشعر عنده الألفاظ العذبة الملائمة للمعنى ، والخيال العالى والفكرة النيرة والعاطفة المشبوبة ، الجميع يتضافر فى اخراج عمل أدبى متميز ، واذا فقد الشعر أحد هذه الأركان أصبح قشريا لالب فيه •

وفى تعليقه على مقولة « دى كارت » : «أنا أفكر اذن أنا موجود» يقول « ولكن الفكر ليس وحده دليل الوجود ، واذا كان وحده دليل الوجود فليس وحده دليل الشعور المطلق بحقيقة الوجود ، ونحن نريد شعورا مطلقا بكيان النفس الذى هو حقيقة وجودها ••• وما كان الفكر وحده ولن يكون دليلا على شعورنا بكياننا وحقيقة احساسنا الباطنى

---

(١٨) المنقار الأحمر ص ٩٣ •

(١٩) المنقار الأحمر ص / ٧٧ •

بالوجود ولو أن أدى دىكارت قال : أنا أحزن وأفرح اذن أنا موجود لشمل قوله الفكر والعاطفة معـــا ، بل لشمل قوله الاحســـاس المطلق بعوامل الحياة فنيا خفيها وظاهرها »(٢٠) •

من هذا نتبين أن الشعر عنده ليس فكرا محضا خالصا وانمـــا هو الوجدان الذى تلبس بهذا الفكر وجعله سائغا مؤثرا ؛ لذا رفض قول دى كارت فهو لا ينطبق على الفن والأدب •

ويذهب الكاتب الى أن الشعر الذى هو وليد الفكر وحده انمـــا هو « شعر ميكانيكى اذا أرضى فينا الفكر والمنطق من ناحيـــة احكامه وضبطه فما يرضى فينا القلب والروح من ناحية شعوره وأحساسه »(٢١)

ثم يقول « نريد شعرا ينظم الشاعر ، لا شاعرا ينظم الشعر •• بلى •• نريد شعرا يغتلى بشتى العواطف البشرية تتجى فيه الحرارة وقوة الاحساس ، فمعدن الشعر عندنا هو القلب مســـتودع الرغبـــات الغـــائرة والعواطف العنيفة منهـــا والنـــاعمة ، وليس الفكر ، فللفكر اتجاهات ومذاهب تختلف عن اتجاهات القلب ومذاهبه » (٢٢) •

ويستشهد بمقولة « لرودان » فيقول « وقد قال « رودان » فى الفن قولا ينطبق جد الانطباق على الشعر : «القلب يبتدع والفكر يرسم» وهذا صحيح فالقلب فى فوران رغباته يبتدع ويخلق والفكر يهندم ويصقل فهو أداة تابعة لا متبوعة • ولعل كل ما يحتاجه القلب من الفكر هو هذه المشارفة فحسب •

---

(٢٠) المنقار الأحمر ص / ١٥٥ ، ١٥٦ •
(٢١) المنقار الأحمر ص / ١٥٧ •
(٢٢) المنقار الأحمر ص / ١٥٧ •

والذى نراه بعين القلب لا نراه بعين الفكر ؛ فالقلب يرى بعين العاطفة الخفية مالا يراه الفكر بغير المنطق المحسوس » (٢٣) ٠

وهذا دليل احتياج الشعر الى الفكر والعاطفة معا على النحو الذى حدده « رودان » وشرحه الكاتب ٠

والنقد الحديث يؤكد ذلك ، يقول د/ شوقى ضيف « ان التجربة الشعرية وحدة ليست عاطفية فقط ولا عقلية فقط ، بل هى عاطفيةعقلية معا ، تعمل فيها النفس ويعمل فيها العقل ، وتعمل فيها خبرة الشاعر بوسائله اللغوية والخيالية والموسيقية ويمتزج هذا العمل كله وينصهر ويتوحد فى قصيدة لا تصور شيئا سواه » (٢٤) ٠

ويؤكد د/ محمد السعدى فرهود أن الأفكار لا يمكن فصلها عن العواطف فى الشعر « لأن الطبيعة الانسانية تعطف حين تفكر ، وتفكر حين تعطف ، دون انقطاع ، وأصغر الناس شأنا من يملك شعور واحد فينقطع ما بينه وبين فكره وأفكار بنى جنسه » (٢٥) ٠

ومعنى ذلك أن الشعر يحتاج مع العاطفة والاحساس الى العقل والفكر ، ولا غنى للعاطفة عن الفكر « اذ هو الذى يشرف على الأحاسيس وينظمها ولولاه لكانت خليطا مضطربا لا تسوده وحدة ولا يسوده نظام ، فهو الذى يؤلف بين شتيتها ، ويجمع بين منثورها ، ويكون بناءها ، ولكن ينبغى أن يضع الشاعر نصب عينيه دائما أنه بصدد عمل

---

(٢٣) المنقار الأحمر ص / ١٥٨ ٠

(٢٤) د/ شوقى ضيف فى النقد الأدبى ص ١٣٩ ط ٥ دار المعارف ٠

(٢٥) قضايا النقد الأدبى ص ٩١ ، ٩٢ ٠ نقلا من مقال للعقاد فى مجلة الشعر يناير ١٩٦٤ ٠

نفسى لغته الشعر ، وليس بصدد عمل عقلى لغته النثر » (٢٦) .

فليس المقصود بالفكر فى الشعر أن يجىء الكلام منظومه علمية أو قضية عقلية أو قياسا منطقيا فليس هذا بالشعر ، أو أن يطغى الفكر على العاطفة لأن ذلك مجاله النثر لا الشعر ، وانما نقصد بالفكر : الفكر الشعورى الذى يدخل فى نطاق العمل الشعرى والتجربة الشعرية .

علاقة الفلسفة بالشعر :

شكر الله الجر لا يقر الشعر الفلسفى العقيم ولا يدعو اليه ، يقول : « أنا لا أدعو الى الشعر الفلسفى العقيم ، فالفلسفة ليست من خصائص الشعر ولا تمت اليه بصلة أما ما وقع منها عفو الخاطر دونمـا تعسف واجهاد فهو اللذيذ السائغ » (٢٧) .

وفى رده على كتـاب « قلب العراق » لأمين الريحانى ، يقول : « كما لا نعتقد أن الفلسفة تتفق والشعر نفسه يدين بالفلسفة الا ما جاء منها عفو الخاطر وابن التجربة كما نلمسها فى بعض مقاطع من شـعر المتنبى أو أبى العلاء ، وهذه نسميها حكمة وتمرس فى شئون الحيـاة لأن الفلسفة كما نعرفها لا تزيد عن نظريات تنقضها نظريات لتطـور عقلية البيئة التى تتطور معها عقلية الفيلسوف فيعود وينقضها بنفسه كما وقع للكثيرين من الفلاسفة على شاكلة الزهاوى .

أما أولئك الذين يتعمدون الفلسفة فى الشعر كالزهاوى فانهم لم يجنوا على أنفسهم كشعراء وفلاسـفة فحسب بل جنوا على الشـعر والفلسفة معا ، على أننا نمجد الشعر المتفجر من صميم الحياة المتصلة

---

(٢٦) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ١٤٨ .
(٢٧) المنقار الأحمر ص / ٧٧ .

بكل حاسة من حواسنا فنى فيما ترسمه وتخطه من رموز وصور أبقى وأخلد من الفلسفة الوضعية المجتواه لتعسفها فى الشعر وتذليلها للقافية والوزن هذا ما لا يهضمه الذوق الشعرى السليم »(٢٨) •

وهو كما ترى لا يقر الشعر الفلسفى الا ما جاء منه عفو الخاطر ، ويحبذ الشعر المتفجر من صميم الحياة المعبر عن أحاسيسنا وما يختلج فى نفوسنا •

اما عن رؤية الكاتب للشاعر فقد أفاض فيها القول ، لأن الشاعر عنده يحظى بمكانة سامية ، ومهمة جليلة ، ومن ثم فهو يتميز عن غيره بسمات بمقومات ، وسوف أورد فقرات مما قاله عن الشاعر حتى يتسنى لنا تكوين نظرته النقدية فى هذا الصدد • يقول : ينشر على آفاقها النور من روحه ويرج فجواتها بأنغامه ، والشاعر الذى يعتبره الناس ملك الانسانية انما هو من غنى الانسانية ، فنسل من لبابها أوتاره ، وحاك من أخيلتها ريشه ، وعصر من قلبها خمره وألحانه •

الشاعر هو من اتسعت ثقافته ورحبت آفاق فكرة واحتضن فى أعماق روحه عوالم وأكوان تتصل بكل عالم وكون •• وهو من وقع على قيثارة الآلهة وغنى بحناجر الملائكة فأسكر الله ؟! والانسانية •

الشاعر هو من روى من كل منهل من مناهل الأدب والفن ففجر من قلبه ما يرويك ويسكرك • الشاعر هو الكرمة التى تمتص عناصر الأرض لتقدم خلاصتا عنبا ناضجا شهيا • والنحلة التى تترشف الوف الأزهار لتحولها قرصا من الشهد . ومن لم تكن له قوة الكرمة وموهبة النحلة فلن يكون الشاعر الخطير •

---

(٢٨) المنقار الأحمر ص / ٩٨ ، ٩٩ •

اذا قلت لأحدهم ليس لدينا فى العالم العربى شاعر كامل سخط عليك وراح يكردس حولك أسماء الأموات والأحياء جبالا ، واذا قلت له أن أحص لنا ما تكدس فى الشعر العربى منذ نشأة الشعر حتى الدقيقة التى نحن فيها فانك لا تجد فيه سوى أفق محـــدود ضيق لا يزيد على كونه صورة لحياتنا المحدودة الضيقة المبطنة بالضجر المكبلة بالتقاليد البالية ،وأين من حياتنا هذه الخاملة حياة الأمم المثقفة الكادحة الراضية المجددة المخترعة المبدعة المنقبة فى عناصر الطبيعة المندفعـــة فى غمرات الحياة اندفاع الأرض حول الشمس .

الشاعر الذى تمخضت به مثل هذه الأمم فولدته كاملا ليتمخض هو وحده بعوالم وأكوان ليس لآفاقها مدى انما هو الشاعر الحقيقى ، وأين لنا مثل هذا الشاعر ؟ » (٢٩) .

من هذا يمكن تجميع نظرة نقدية تقوم على :

— حرية المبـــدع .

— ارتباطه بحياة الناس من حوله والتعبير عنها .

— سعة الثقافة وتنوعها .

— دقة الأسلوب وقدرته على التأثير .

— هو من يقدم عصارة ما قرأ أو استوعب ليكون غـــذاء للروح والعاطفة وهاديا للفكر الانسانى مفردا أو مجموعا .

— الأصالة بالابتكار والاضافة . فى الفكر والصـــورة وصـــدق العاطفة .

---

(٢٩) المنقار الأحمر ص ٧٢/٧٣ .

ـ البعد عن التقليد بنظم الطريف من حاضرها والعريق من ماضيها والتلويح بعد أفضل •

ـ الخروج من الذاتية الضيقة الى الموضوعية العـامة التى تؤثر فى كل الأفراد •

ـ الولوج الى العالمية عن طريق المحلية الصادقة المخلصة •

ويطالب شكر الله الجر الشاعر الحقيقى « أن ينتفلت من سخافات المجتمع وتقاليده الحمقاء ، ليجلو لنا نفسه ، أمام الحياة ويعرضها عارية على مسرح الفن والأدب • وأن يكون صورة مصغرة عن الطبيعة الكونية والا فلن يكون الشاعر الذى يسـتحق أن ينطق بلسـانها ويعرب عن مكنونها •

وعلى الشاعر أن يكون فى تلوين مواضيعه كالربيع فى تلوين أزهاره لينزل من جميع النفوس ويتلائم مع جميع الأذواق والمشارب »(٣٠)•

فهو يريد الصدق والصراحة وذلك حق ، ويريد تلوين المواضيع وتغايرها وذلك صدق ، بشرط أن يكون للشاعر موقف من كل موضوع يقدم فيه تجربته معه ووجهة نظره فيه •

ثم يقول : (وعليه أن يكون كالرسام الذى تلمع فى جفران معرضه القداسة الى جانب الدعارة ، والجمال الى جانب الشـفاعة ، والا فما نفع الفن اذا لم تقبل عليه بقلب يعج بجميع المتناقضات ونفس تعرف أن تتذوق الطهارة فى العهارة ••)(٣١) •

---

(٣٠) المنقار الأحمر ص ١٤٦/١٤٧ •

(٣١) المنقار الأحمر ص / ١٤٧ •

ونحن نرى أن هذا ليس على اطلاقه وانما بالشروط السابقة حتى لا يتحول الشاعر من معبر صادق الى متكلف .

والشاعر عنده لا يستطيع أن يكون عبقريا (اذا لم يجمع الى قوة الخيال سليقة الرسام المبدع ، ولا يستطيع الرسام أن يكون رساما مبدعا اذا لم يجمع الى سليقة الرسام خيال الشاعر)(٣٢) والأديب المخصب عنده ذو الموهبة العالية هو (من يصب من قلبه فى جميع القلوب ، ومن مزاجه فى جميع الأمزجة ليعيش فى جميع الطبقات والعصور ، ونحن لا نكتب لفئة دون فئة من الناس)(٣٣) .

ويرى شكر الله الجر أن دولة الأدب سيان فيها أبناء الشرق والغرب والحواجز الجغرافية والسياسية ، ولولا ذلك ما هتف أديب من أدباء الفرنسيس قائلا : « لقد ولد لنا شاعر » عند نبوغ الشاعر اللبنانى شارل القرم . ومن ثم (فالشاعر العظيم هو ابن السماء والأرض ، وهو سليل آلهة الفن والجمال ، وأى متى كانت هذه الآلهة لفئة من الناس دون فئة ، وشعب دون الآخر ، وكم يولد فى النهار الواحد من شعراء فى الأمم المكحولة بنور المعرفة ويموتون فى يومهم ، ولكن ولادة شاعر عظيم انما هو حدث خطير تتهلل له الملائكة وتفرح به البشر)(٣٤) .

ولذلك فالشاعر الجيد فى نظره هو من يتناول فى شعره الانسانية بأسرها ، فالنفس البشرية واحدة ومنازعها وميولها هى هى فى كل مكان وزمان ، يقول : (فالشاعر الذى يعرف أن يغوص فى بحار

---

(٣٢) المنقار الأحمر ص / ١ .
(٣٣) المنقار الأحمر ص / ١٥٩ .
(٣٤) المنقار الأحمر ص / ٧١ .

نفسه ويحلق بأجواء فكره الغير مستخرجا من كنوز احساسه المصفى ما يبهر ويخلب ، فقد استطاع أن يغوص فى بحيرة كل نفس ، ويمتزج شعوره بالشعور الانسانى العام المطلق •

وهذا ما نتطلبه فى الشعر والشاعر(٣٥) •

ويرى شكر الله الجر أن الشعر يختلف فى أدائه التعبيرى وتصويره الجمالى من شاعر الى شاعر وان اتفق المثير عندهما . وذلك لاختلاف المزاج ومقدار الاستجابة لهذا المثير ، وهذا حق • يقول : (انما جل ما أرمى اليه هو اظهار التباين فى الاحساس فان الصاعقة التى أنقضت على ده موسه فسحقت قلبه بخيانة جورج سند وهجرها ••• كانت أخف بكثير من الصدمة التى وقعت على قلب « هيكو » يوم تكشفت له خيانة زوجه ••• لقد كان من حق هيكو أن ينتحر •• أو يغضب أو يتألم على الأقل ، لو كان له شعور ده موسه ، ولكن هيكو لم يفعل شيئا من ذلك ، حتى أنك لا تجد أثرا لهذه الصدمة القاتلة فى شعره)(٣٦) •

ويرى شكر الله الجر أنه لا يجب (انكار ذاتية الشاعر الخفية وشخصيته المتمركزة فيه وهى النبض الأقوى فى شعره والعامل الأظهر فى تفكيره والناحية الأبعد اشراقا فى أدبه)(٣٧) •

من هذا نتبين أنه لا ينبغى اهمال الذاتية فى الشعر تلك الذاتية التى تمده بالعمق والخصوصية والتباين مع الآخرين مهما اتحد المضمون وتكررت المواقف •

---

(٣٥) المنقار الأحمر ص / ٧٩ ، ٨٠ •

(٣٦) المنقار الأحمر ص / ١١٩ ، ١٢٠ •

(٣٧) المنقار الأحمر ص / ١٣١ ، ١٣٢ •

ثم يقول : (واذا استطاعت البيئة أن تكيف قليلا من هذه الذاتية الحية فى الشاعر وتصقل مظهرها فلا يعنى أنها تستبدل جوهرها أو تقوى على محوها لا سيما اذا كان الشاعر قوى العاطفة أصيل الطبع)(٣٨) .

فالبيئة عامل من عوامل التأثير فى الشعر والشاعر ولا تكون لها فاعليتها الا من خلال الذات المتأثرة ، ومهما كان تأثير البيئة فانها لا تلغى فطرة النفس الشاعرة وما حباها الله من قدرات ، تكون دائما مختلفة من شخص الى آخر وهذا ما يفسر لنا التباين الواضح بين شاعرين عاشا عصرا واحدا وبيئة واحدة .

ولشكر الله الجر رأى فى المقلد الذى لاهم له سوى اقتفاء أثر السابقين والنظم على منوال المتقدمين ، دون أن تكون هناك عاطفة مشبوبة أو تجربة صادقة .

ومن ثم نراه ينعى على الذين يحاولون تقليد «جبران» ، فيقول: (وان هم توفقوا الى تقليد أسلوبه فما توفقوا الى الموهبة الكامنة فيه ، والعاطفة الفوارة فى نفسه ، والثقافة التى تحلى بها .

يستطيع الكاتب أو الشاعر ان يقلد ولكن أية قيمة لتقليده ، ويستطيع أن يتصفح كل أسفار الأنبياء ويتصنع صوفيتهم وحكمتهم ، ولكنه لا يستطيع أن يخلق فى أعماقه تلك الشعلة التى تأججت فى أعماقهم ، وذلك العطش الروحى الذى أحرق نفوسهم فأفاضوا منها على الانسانية أنوارا من الرحمة وجداول من المحبة ...

---

(٣٨) المنقار الأحمر ص / ١٣٢ .

انه لأشرف للشاعر المقلد أن يمزق كل ما نظمه من أن يحمل على نفسه وصمة السارق فى حياته وممانه.. (٣٩) .

وهكذا يهاجم الكاتب الشعراء المقلدين الذين يتخذون من أعمال الآخرين مثالا يحتذى ونهجا يحاكى ويتبع .

ثالثا ـ الأسلوب :

يمكننا استخلاص النظرة النقدية لشكر الله الجر فيما يتصل بالأسلوب والألفاظ من خلال عدة مقالات فى المنقار الأحمر ، ففى ثنايا ها تعرض لما يجب أن يتبعه الأديب فى هذا الميدان .

ففى مقاله عن ديوان (أفاعى الفردوس) لالياس أبى شبكة يقول : (ان لكل موضوع ألفاظه ، وقد يكون الموضوع الواحد بين يدى الشاعر فيستكتى من ألفاظه الخشن والرقيق الباهت ، وهل يجوز للشاعر الفنان أن يلبس معانيه كلها حلة واحدة من الألفاظ فيلبس مواقف الحب والحنان فى شعره الكر والفر والطعن والضرب ...)(٤٠) .

فهو يدعو الى تلائم اللفظ مع الفكرة من حيث الرقة والعذوبة أو العنف والخشونة والجهارة أو الهمس ، فجمال الكلمة عنده فى حسن موقعها من النظم ودلالتها على المعنى . ومما مدح به صلاح ابكى فى أرجوحة القمر ، قوله : (لو لم يكن لهذا الشاعر ميزة سوى أنه يقدم لنا نفسه عارية من برود الصناعة والكلفة ويجلوها لنا فى سطور عابقة بالاحساس كما يجلو لنا الربيع أزهاره والليل نجومه والسواقى أنغامها لكفى بها ميزة لا نجدها الا فى شعر القليلين ..)(٤١) .

---

(٣٩) المنقار الأحمر ص / ٧٤ ، ٧٥ .

(٤٠) الأحمر ص / ١٧ ، ١٨ .

(٤١) المنقار الأحمر ص / ٨٣ .

وفى مقاله عن « عبقر » لشفيق معلوف يعيب عليه ــ أيضا ــ الصنعة والتكلف الذى أجهده فى صوغ أفكاره فى قوالب فصيحة مزخرفة ، فنراه يقول : (فى شعر معلوف صناعة لفظية تكاد تخفى تحتها ما يعانيه من جهد لصوغ أفكاره فى قوالب فصيحه مزخرفة ..)(٤٢) .

ويعيب عليه أيضا الاستغراق فى الماضى والاحتذاء به أى التقليد حتى لأخيه فوزى ، وعاب عليهما معا عدم الجدة أو الجدوى ، فيقول: (فى « عبقر » رؤى ويقظات من أحلام) ناظمه العابرة وكأن الشاعر ما برح يجتذبه الماضى فيلوى عليه وينغمس فيه مأخوذا بأخيلته الساحرة ، وفى عبقر خيوط شفافة نسلها شيطان الشاعر بأظفاره الدقيقة من (بساط الريح) تدلك على تأثر الشفيق بأخيه فوزى ، فاهيك بالقالب أو الهيكل المرسوم فهو واحد فى القصيدتين فقد سخر فوزى « الطيارة » الى بث أفكاره ضاربا فى مملكة الهواء ، وسخر شفيق (شيطانه) الى مدينة الجن يجوس فى مغاورها وأبراجها ليعود منها بحكمة جديدة لم ينطق بها الناس بعد ، فلا فاز فوزى بحكمة جديدة ناشدها فى مملكة الهواء ، ولا وفق الشقيق الى حكمة جيدة توقعها فى كاهنى عبقر تنسيه مشقة هذه الرحلة الطويلة(٤٣) .

اذن هو لا يميل الى الصناعة اللفظية ولا التكلف فى الأفكار ولا التقليد .

وفى المقدمة التي وضعها لديوان (رشيد أيوب) « هى الدنيا »

---

(٤٢) المنقار الأحمر ص / ٩٠ .

(٤٣) المنقار الأحمر ص / ٩١ .

تحدث شكر الله الجر عن الألفاظ والأسلوب ، وسوف نورد رأيه فى ذلك ونناقشه فيه •

يقول : (فرب كلمات فى شعر أيوب هجرها الزمن وأعرض عنها العصر ، ولكنها تؤلف فى سمعك وذهنك صورا بعيدة قريبة تشبع كيانك غبطة حزينة لا تدرك مدى تأثيرها فيك •

جلست بقرب شباكى أردد طيب ذاكراك
وأطوى بيد أحلام كبت فيها مطاياك
أتاركتى أخا سهر متى عهدى بلقياك

فلو كنت صاحب هذه الأبيات لما رضيت عن (بيد ، وكبت ، ومطايا) على ما فيها من قدمية بألف قصيدة عصرية الألفاظ(٤٤) •

فالكاتب اعترض على استخدام كلمات « بيد » و « كبت » و « مطايا » فى شعر عصرى لا عهد له بمثل هذه الكلمات ولكنه أطراها بقوله : ولكنها تؤلف فى سمعك وذهنك صورا بعيدة قريبة تشيع فى كيانك غبطة حزينة ، لا تدرك مدى تأثيرها فيك • وبذلك يكون قد سمح لبعض الكلمات المهجورة أن تعود الى حياة الأدب اذا أجاد الشاعر فى اختيارها وصوغها الصياغة الفنية الملائمة للموقف والقادرة على بث الوجدان وهذا ما فعله الشاعر ، وبذا عاد اليها الإلف وغدت مقبولة سائغة حتى تلك الصورة « كبت فيها مطاياك » على الرغم من عدم تواؤمها مع العصر الحاضر الا أنها غدت داخل النص صورة ذات قدرة ايحائية على الافضاء بالفشل الذى منى به صاحبه •

---

(٤٤) المنقار الأحمر ص / ١٢٧ ، ١٢٨ •

ويرى الكاتب أن (سر الجمال فى شعر رشيد أن الصور العاطفية عنده تأتى وكأنما ألفاظها خلقت لها :

هون الله فعدنا والتقينا وتذكرنا الليالى فبكينا

وهنت مثلى ولكن لم يزل فى حواشى العمر مايحنو لدينا

قد ترد كلمة حواشى كما وردت عند مئات الكتاب والشعراء انما قلت وردت على هذا التساوق والارتباط المعنوى واللفظى بما قبلها وبعدها وعلى هذا النمط السائغ اللذيذ(٤٥) ويواصل الكاتب حديثه عن صفات الألفاظ فيقول : (يقول بعضهم بالمتانة ، ويخصون الشعر الوطنى والاجتماعى بهذه الميزة لفخامة أو ضخامة فى ألفاظه على حين أن المتانة فى الشعر هى أن تأخذ الكلمة محلها عن المعنى وسواء فى ذلك الشعر الوطنى الحماسى أم الغزلى والوجدانى)(٤٦) .

فهو نه رأى آخر فى الكلمة لا من حيث الغرابة فحسب كما سبق أن أوضحنا ولكن من حيث وضعها فى الجملة وحسن التناسق وجمال الترابط مع ما حولها من كلمات .

ثم يقول : (وقد يتفق للشاعر أن يخلق كلمة لا عهد للأدب بها ليؤدى صورة فى نفسه يعز عليك استبدالها بسواها مع الاحتفاظ بنبرتها وصداها المستحب وهذا هو فى عرفى الذوق الفنى الذى يولد مع الشعراء وينمو بنمو سليقتهم الشاعرة)(٤٧) .

---

(٤٥) المنقار الأحمر ص / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤٦) المنقار الأحمر ص / ١٢٩ .

(٤٧) المنقار الأحمر ص / ١٢٩ .

فهو أيضا لا يقر أن للشعر كلمات محددة خاصة به لا يتعداها الى سواها ، فهو يرى أن كل كلمة صالحة للاستعمال الشعرى ما دام الشاعر قد وفق فى انتخابها بحيث تسهم فى أداء صورة نفسية خاصة لا تصلح سواها فى التعبير عن مكنون الفؤاد بالقدر أو بالأمانة التى وفقت فى أدائها الكلمة التى اختارها الشاعر والتى لم يألف الشعر فى اتخاذها أداة تعبيرية له •

ويرى الكاتب (أن فى الشعر مثلما فى النثر والرسم بساطة أخاذة تجهل سرها فهى بساطة تخادعك عن نفسك فتظن أن بوسعك تقليدها فلا تكاد تهم بتقليدها حتى ترتد فاشلا منذهلا)(٤٨) •

فالصور التعبيرية فى الشعر لها ذاتية دقيقة وخاصية لاصقة بصاحبها وبالموقف فلا تصلح لغير الشاعر ولا لغير الموقف ومن هنا يفشل التقليد ويصبح سخيفا قاتلا لمن يلوذ به •

رابعا ــ نقده المتنبى :

شكر الله الجر له رأى فى المتنبى وفى شعره وحتى نقف على أبعاده وعلى رؤيته الفنية التى كونها حول المتنبى وشعره سوف نورد ما قاله فى هذا الصدد ونناقشه فيه •

يبدأ الكاتب حديثه قائلا : (فالمتنبى مادى وضعى ، ومادى متكالب ، وهذا الجفاف فى الطبع وهذه الخشونة فى العاطفة وهذا الاستذلال للملوك والأمراء حتى « الخصية السود » منهم فى سبيل استدرار أكفهم هو حجتى القاطعة على ماديته وعلى كل قائل بعظمته وأبائه •••)(٤٩) •

---

(٤٨) المنقار الأحمر ص / ١٢٩ •

(٤٩) المنقار الأحمر ص / ٦٠ ، ٦١ •

ثم يقول : (وعندى أن هذا الجوع وهذا العطش الملحين به الى المال والجاه الدنيوى هما ما قتلا فيه الناحية الانسانية والعاطفية وهل تساكن العواطف الانسانية السامية البخل والطمع فى النفس ، وهل يجاور الاباء والشمم الذل والضراعة وهما نقيضان .

وبعد فكيف نتطلب الشعر العاطفى والانسانى من نفس تنطوى من غريزتها على ألف عقدة وعقدة ، وغصة وغصة من مطامعها المرذولة ، والمطامع أنواع والسعى الى جمع المال أنواع فمن الناس من يسعى الى المال ليستفيد ويفيد ليستعبد المال ويذله لا ليستعبده المال ويذله ، أما المتنبى فقد كان من هذا الطراز الأخير يدلك على ذلك ما أشتهر عن بخله وتقتيره وكظاظة كفه وغلاظة فى طبعه ..)(٥٠) .

من هذا نرى أنه اتكأ فى نقده لشعر المتنبى على طبيعة البخل وحبه لجمع المال الذى أولع به المتنبى ، فأسقط شعره كله بهذا الاستفهام التعجبى « فكيف نتطلب الشعر العاطفى والانسانى من نفس تنطوى من غريزتها على ألف عقدة وعقدة ... ؟ » .

ونحن نسأله ألا يصح أن تكون هذه العقد التى زعم وجودها فى المتنبى هى مدخله الى الابداع ؟ ومدخلنا نحن الى فهمه ونقده وتعليل نواحى التجويد فى شعره ؟ لا أظن الا أن الناقد جنح الى المغالاة طريقا الى المخالفة فى الرأى .

ثم يقول الكاتب : (ولو أن المتنبى كان له غير طبعه الجاف أو أنه أوتى موهبة السخاء والكرم لملك قلوب الناس وفى طليعتهم حساده ومنافسيه ولجيش من المعجبين بكرمه وأدبه جيشا بايعه الامارة

---

(٥٠) المنقار الأحمر ص / ٦١ ، ٦٢ .

عليه وعقد له لواء الزعامة يساعده على نيلها شخصية رصينة لا تعرفه التبذل والمجون ولكنه كان يطمع الى كل ذلك بالمدح)(٥١) •

فهذه الفرضيات التى أقامها باستخدام « لو » المتكررة توقفنا على رأى الناقد بأن الاجادة يمكن التماسها من خارج النص — من بسخاء الشاعر ومروءته ، من كثرة عطاياه وحسن معاملته ، وتلك زلفى الى القارىء لا يقدر عليها أحد من الشعراء ، لأنه اذا أرضى فئة أسخط غيرها ، هذا فضلا عن أنه مقياس جائر اذا أمكن تحققه • فقد يرفع الساقط اذا رضى الناس عن صاحب النص ويبخس الجيد حقه اذا هم استثقلوا ظل منشئه ، فكيف نحكم العلاقات دون النظر الى معطيات النص الفنية ؟ وهو المعنى فى كل الحالات بالحكم له أو عليه ؟

ثم يعلل الكاتب لسبب ذيوع شعر المتنبي ، فيقول : (أما كيف شق المتنبى هذه العصور حتى انتهى الينا على تلك الجلالة والضخامة وأصبح شعره المتداول دون سواه بين أيدى النشء فذلك ما يعود به أفضل الى أسباب عدة : أولها : التصاقه بسيف الدولة كشاعر خاص بالأمير •• وثانيها : الدالة التى كانت له على الأمير العربى والحظوة والنعمة اللتين أصابهما عنده فخلقتا له حساده وخصومه •• ناهيك بأن (حلبا) التى مثل عليها المتنبى أهم أدواره الشعرية هى عرق نابض فى قلب سوريا وسوريا هى عرق الوريد من الشرق العربى • اذن فصلة الجوار بيننا وبين الشاعر وانحطاط الأدب العربى وهجوده بعد الفتح التركى واستيقاظه فجأة على أيدى اليازجى الكبير وانجاله •• وسواهم ممن عنوا بالأدب العربى دون سواه •• وتعويل المدارس على منتوجهم وتخيرهم للنشء منه ما كان فيه المتانة والرصانة وما كان مواتيا لروح

---

(٥١) المتقار الأحمر ص / ٦٢ ، ٦٣ •

التعليم يومذاك هو ما أوصلهم الى المتنبى كشاعر لا أثر فى شعره الخلاعة والمجون والتغزل بالغلمان كأبى نواس وأبى تمام ، ولا أثر للتشاؤم فيه كشعر أبى العتاهية والمعرى فدفعوا به الى أساتذة المدارس فأوصلوه بدورهم الينا محاطا محنطا بتلك الشروح والذيول وما حيك حولها من التعاليق والتغالى فى تقريظه فكانت عاملا قويا على أن يتبطن المتنبى عقلية الشيء فى القرن التاسع عشر)(٥٢) .

فهو فى هذه الفقرة يرجع سبب ذيوع شعر المتنبى وخلوده الى صلته بسيف الدولة وظهور حساده ، ثم خلوه من المجانة التى اتصف بها شعر أبى نواس ومن التشاؤم الموجود فى شعر أبى العتاهية وأبى العلاء ، ثم هذا الاهتمام المنصب عليه اثر نكبة الأدب على يد الغزو التركى والتبجيل الذى حظى به من المدارس التعليمية ، وهى كلها أسباب كما ترى من خارج نفسه .

ثم يقول : (ولو اننا ملكنا الجرأة الأدبية الكافية نحن أدباء اليوم وشئنا تحليل شعر المتنبى على ضوء الأدب الحديث لسقط منه ثلثاه للغلو البالغ أقصى درجات الغلو فى المديح مما يمجه ويستنكره الذوق الأدبى العصرى ولسقط معه القائلون بتفوقه على أقرانه لظنهم أن الفخر والمديح والفخامة اللفظية والتقعر ونصب الحزازير للافهام شيئا محمودا فى الشعر ، والثلث الذى يبقى من أمثاله وتشابيهه الحكيمة انما هو منتحل عمن سبقوه وولحكم اليونانية فيه أوفر نصيب، ولبان لنا أن المتنبى لم يكن حكيما فى غريزته بل كان ينتحل الحكمة ..)(٥٣) .

---

(٥٢) المنقار الأحمر ص / ٦٤ ، ٦٥ .

(٥٣) المنقار الأحمر ص / ٦٥ ، ٦٦ .

وهكذا أجهز على شعر المتنبى بضربة واحدة فأسقط ثلثيه لما فيهما من غلو ممقوت فى الفخر والمديح ، والثلث الباقى اشتمل على حكمة ليست طبعا ولا فطرة فى المتنبى وانما هى منتحلة ممن سبقوه ومن حكماء اليونان ، والواقع يثبت خلاف ذلك ، اذ أن الدارس لشعر الحكمة عند المتنبى يستنتج أن الحكمة عنده نابعة من موقف وجدانى شعورى وهذا يجعل الحكمة عنده طبعا ووسيلة مبتكرة فى التعبير فرضها الموقف وأوجدها •

وهذا ما يؤكده الدكتور/ عبد اللاه محمود حسن فى دراسة له بعنوان : «الحكمة فى شعر المتنبى • نتاج تجربة ونبض شعور» اذ يقرر (أن حكمة المتنبى المبثوثة كثيرا فى شعره كانت نتيجة تجربة عاشها وعانى منها ، لذا جاءت صدى لوجدان مرهف تترك الأحداث فيه بصماتها الغائرة ، فأعانت الشعر على أداء وظيفته الأخلاقية)(٥٤) •

وفى نهاية مقاله ، يقول شكر الله الجر (ونحن لا ننفى عن الشاعر قوة فى خياله ، وابداعا فى بعض صوره ، وجمعه فى بعض أبياته متفرقة معانى كثيرة ، والمامه فيها من نواح مختلفة بحقائق ملموسة متصلة الوشائج بالحياة الدنيوية العامة المتصلة بكل جيل ، التائهة بكيان النزعات الأرضية التى ألهبت نفسه وخنقت فيها كل روحانية)(٥٥) •

هذا ما كان يجب الاتجاه اليه: النص الذى نأخذ منه الحكم وليست الأمور الأخرى الخارجة عنه •

---

(٥٤) مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ص / ٢٤ العدد السادس سنة ١٩٨٦ •

(٥٥) المنقار الأحمر ص / ٦٨ •

ثم يعود فيقول : (وانـك لتجد مثل أبياته هذه ومعانيه عند كل شاعر أوتى ما أوتيه المتنبى فى حياته من مرارة وغيظ وألـم وأمـل فاشل ، انما لم يتح لهم ما أتيح للمتنبى من ظروف وملابسات وحظ وشراح ٠٠٠٠)(٥٦) ٠

فهو يسحب الاعجاب الذى باح به قبلا ، اذ سوى بينه وبين غيره والفارق أنه أتيح له من الشراح والمعجبين مالم يتح لغيره ٠

وآظن ذلك منه غمط لشـعر المتنبى ٠٠

خامسا ــ تناقضـــات :

وقع الكاتب فى بعض مقالاته التى أشتمل عليها الكـتاب فى عـدة تناقضات لامناص من سردها والرد عليها وذلك على النحو التالى :

فى نهاية حديثه عن ديوان أفاعى الفردوس لأبى شبكة ، يقول : (وما همنى اذا لم يكن لأبى شبكة هدف تزحف اليه أفاعيه وهى مواضيع مستقلة بصـورها وان تشابهت من بعض نواحيها وهل للبراكين الثائرة هدف تتطلبه سوى الترفيه عن ذاتها)(٥٧) ٠

فهو بقوله ان ديوان أفاعى الفردوس ليس فيه من هدف سـوى الترفيه قياسا على البراكين التى تنطلق لترفه عن نفسها ٠ قوله هـذا جرد الديوان من غاية مؤثرة فى القراءة ، وتجعله لا يحمل اليهم سوى الترفيه الذى ينتهى به آخر الأمر الى العبثية ، وبساب منه القـدرة

---

(٥٦) المنقار الأحمر ص / ٦٨ ٠

(٥٧) المنقار الأحمر ص / ٢٤ ٠

على الاصلاح التى جعلها الناقد رسالة الشعر لاصلاح الحياة بعامة كما قال ذلك فى المقدمة — وقد ألمحنا اليه — وهذا تناقض •

وفى رده على ميخائيل نعيمة فى الكتاب الذى أصدره عن جبران خليل جبران ، يأخذ عليه أنه تحامل على رفيقه وصنوه ، ومما قاله فى ذلك (لقدة كان عليك يا أخى ميشا(٥٨) وأنت الصديق المحبوب من جبران ، وقد أبيت أن تقول كلمتك فى كتابه النبى يوم كان جبران حيا كى لا تجرح شعور أخيك بصراحتك ، أجل كان عليك أن تترفق اليوم بروح جبران الحساسة وهى تطل من عالم الغيب ترقب كل خلجة فى ضميرك وكل كلمة يخطها قلمك •••)(٥٩) •

وهو مقال سلك فيه مسلك الصديق العطوف الذى وقف ينافح فى اصرار وعاطفية مرهفة عن صديق رأى أنه تعرض لسهام ناقد حسب أنه تحامل على من يعزه حين كشف عن بعض عوراته ، فجبران فوق المساءلة الفنية النقدية ، ونعيمة لم يرع للصداقة حقها فى الاغضاء عن المآخذ وستر العورات • وليس فى هذا انصاف العلماء والنقاد الحياديين

فاذا ما تركنا مقاله هذا ، وأمعنا النظر فى مقاله عن حبيب الزحلاوى نراه يأخذ عليه أنه لم يكن محايدا فى نقده للآخرين ، فيقول (والنقادة النزيه يجب عليه أن يتجرد من الموجدة والهوى وعليه أن يكون كالمنارة ترسل نورها دون نارها للمستضىء بها صغار السفن وكبارها

---

(٥٨) تصغير اسم ميخائيل نعيمة بالروسية • وبهذا الاسم كان ينادية جبران •

(٥٩) المنقار الأحمر ص / ٤٤ •

على السواء ، وكتب النقد يجب أن تكون كالأناجيل فى صدق وجدانها لا أداة للتضليل والتشفى)(٦٠) ..

فما يؤكده هنا ويؤاخذ عليه حبيب الزحلاوى هو نفسه الذى وقع فيه حين دافع عن جبران فيما آخذ فيه نعيمة من مآخذ سجلها على جبران فهو لم يكن محايدا موضوعيا كما يطلب من الزحلاوى أن يكونه .

وعلى كل فالمقال يحمل قدرا من الصدق عندما طالب الناقد أن يكون حياديا ولكنه عجز عن أن يكونه فهو يطالب غيره بما ليس فيه كأنه يبحث عما ينبغى أن يكون لا ما هو حادث منه ومن صاحبه .

ومن تناقضاته أيضا ما جاء فى كلمته عن « فيكتور هيكو » حيث يقول : (قد تتضاءل مع الايام شخصيات كبيرة بارزة لشعراء كبار بارزين ولكن شخصية هيكو الفرنسى ذلك الطود الأشم الراسخ فى دولة الأدب العالمى ، وشكسبير الانكليزى والمتنبى العربى كلما توغلت فى القدم كبرت وتعاظمت وملأ دويها جوانب الدنيا ...) (٦١) .

ولا أدرى كيف وضع المتنبى فى مصاف هؤلاء العالميين مع أنه قد هاجمه قبلا فى ضراوة وعنف ؟ .

ثم يعلل لذلك ، فيقول : (قد يكون لذلك تعليله وأسبابه وهو أن المتنبى خاض غمرات الحياة واتصل اتصالا وثيقا بأبنائها مما ترك فى قرارة نفسه تلك المضغة المزدوجة من الألم والمرارة الذين تذوقهما فى كل مقطع تمخضت به روح المتنبى فجاء شعره ناطقا بآلام الأنسانية

---

(٦٠) المنقار الأحمر ص / ٥٢ .

(٦١) المنقار الأحمر ص / ١١٢ .

معبرا عن الكثير من أهوائها ومنازعها فى مواقفها المختلفة من الحياة !

ولكن هل ترى هذا كافيا لأن يثير كل هذه الضجة حول تلك الشخصية التى رافقت العصور وكانت شغل أدباء العرب الشاغل ! كلا .. انما للحظ قسطه الأوفر فى تكوين شهرة الأديب .

وكلما تحدث الناس بشخصية كثر اهتمام الجمهور فيها وعلى هذا النمط أصبح المتنبى أمير الشعراء حتى عند الذين لم يقرأوه)(٦٢) .

ومن عجب أنه يعلل هنا لعظمة شعر المتنبى بما حجبه عنه قبلا بتعليل ساذج سطحى كشف عن تحامله وأغمط حق شعره فى الذيوع والخلود ، ولكنه لا يلبث أن يعود الى سقطته القديمة .

وقد وقع الكاتب أيضا فى بعض الأخطاء اللغوية التى تدل على ضعف ملكته اللغوية ومنها على سبيل المثال قوله : (... وألسنتهم الزلقة اللعوبة)(٦٣) والصحيح أن يقول اللعوب لأن فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث . فيقال رجل لعوب وامرأة لعوب .

وقوله : ثلاث أمزجة(٦٤) . والصحيح ثلاثة أمزجة .

وقوله : أجيؤك(٦٥) . والصحيح أجئك .

والواقع أن أدباء المهاجر بصفة عامة يتسمون بضعف الملكة

---

(٦٢) المنقار الأحمر ص / ١١٣ ، ١١٤ .
(٦٣) المنقار الأحمر ص / ١١٦ ، ١١٧ .
(٦٤) المنقار الأحمر ص / ١٥١ .
(٦٥) المنقار الأحمر / ١٥٢ .

اللغوية خاصه أدبـــاء الشمال الذين خرجوا على قواعد اللغة وطالبوا بالتحـــرر منهـــا .

وبعـــــد ،،،

فذلك هو كتاب المنقار الأحمر لشكر الله الجر ، عرضت لمـــا فيـــه من رؤى نقدية لا بأس بها . تثبت قدرة مؤلفه على النقد والتمحيص، وتكشف عن وجـــود جانب مهـــم من آثاره الأدبيـــة جـــدير بالبحث والدراسة ، وتثبت ـــ أيضا ـــ أن الولوج الى ميدان النقـــد الأدبي لم يكن قاصرا على أدباء الشمال وحدهم ، بل وجـــد من الجنوبيين من خاض هذا الميدان وكانت له نظراته النقدية القيمة .

اعداد الدكتور/ عمر عبد المعبود عبد الرحمن
المدرس بقسم الأدب والنقد بالكلية